

## أضواء البيان

@ 127 ذلك من الآيات . ولو كان معنى الآية وما شابهها : { إِنْ زَكَّ لَمْ تَسْمَعْ }  
الْمَوْتَى } ، أي : الذين فارقت أرواحهم أبدانهم لما كان في ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم ، كما ترى . .

واعلم : أن آية ( النمل ) هذه ، حاءت آيتان أُخريان بمعناها : .

الأولى منهما : قوله تعالى في سورة ( الروم ) : { فَإِنْ زَكَّ لَمْ تَسْمَعْ }  
وَلَمْ تَسْمَعْ الصَّامِّ الدُّعَاءَ إِذْ أَوْحَىٰ مَلَكٌ بِرَبِّهِ \* وَمَا أَنْتَ بِرَهَادِي  
الْعُصَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعْ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ  
مُسْلِمُونَ } ، ولفظ آية ( الروم ) هذه ، كلفظ آية ( النمل ) التي نحن بصددنا ،  
فيكفي في بيان آية ( الروم ) ، ما ذكرنا في آية ( النمل ) . .

والثانية منهما : قوله تعالى في سورة ( فاطر ) : { إِنْ زَكَّ لَمْ تَسْمَعْ }  
وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ } ، وآية ( فاطر ) هذه كآية ( النمل ) و ( الروم )  
المتقدمتين ، لأن المراد بقوله فيها : { مَن فِي الْقُبُورِ } الموتى ، فلا فرق  
بي قوله : { إِنْ زَكَّ لَمْ تَسْمَعْ } ، وبين قوله : { وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ }  
مَّن فِي الْقُبُورِ } ؛ لأن المراد بالموتى ومن في القبور واحد ؛ كقوله تعالى : {

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ يُدْعَىٰ مَن فِي الْقُبُورِ } ، أي : يبعث جميع الموتى من قبورهم  
ومن لم يقبر ، وقد دللت قرائن قرآنية أيضاً على أن معنى آية ( فاطر ) هذه كمعنى آية  
( الروم ) ، منها قوله تعالى قبلها : { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ

تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ } ، لأن معناها : لا ينفع إنذارك إلا من هداه الله ووفقه فصار ممن  
يخشى ربه بالغيب ويقيم الصلاة ، { وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ } ، أي  
: الموتى ، أي : الكفار الذين سبق لهم الشقاء ، كما تقدّم . ومنها قوله تعالى أيضاً :

{ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ } ، أي : المؤمن والكافر . وقوله تعالى ( بعدها ) :  
{ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ } ، أي : المؤمنون والكفار .  
ومنها قوله تعالى بعده : { إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ } ( 52 / 32 ) ، أي : ليس الإضلال  
والهدى بيدك ما أنت إلا نذير ، أي : وقد بلاغت . .

التفسير الثاني : هو أن المراد بالموتى الذين ماتوا بالفعل ، ولكن المراد بالسمع  
المنفي في قوله : { إِنْ زَكَّ لَمْ تَسْمَعْ } خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع  
صاحبه به ، وأن هذا مثل ضرب للكفار ، والكفار يسمعون الصوت ، لكن لا يسمعون سماع قبول

بفقهه واتّباعه ؛ كما قال تعالى : { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ السَّذْيِ  
يَنْزَعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ